

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرحمن

سورة الرحمن، هي في قول جمهور العلماء سورة مكية، تبدأ بقوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾

و ﴿الرَّحْمَنُ﴾ هو الله سبحانه، المتصف ببالغ الرحمة، صاحب الأفضال والنعم، ولما ثبت كون الله هو الرحمن: أشار بعده إلى دليل الرحمة ومصدر الشفاء، وعظيم النعمة وهو القرآن!!

فقال: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أي: يَسَّرَ حفظه وفهمه والعمل به، على من رحمه من خلقه، ثم ذكر نعمه تبارك وتعالى، وبدأ بخلق الإنسان الذي لولا وجوده؛ لما انتفع بشيء من نعم الله وآلائه.

فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾، يعني ليتعلم القرآن، فيعرف الدين، ويعبد الله الذي خلقه حق عبادته.

ثم بيّن نعمة الإدراك في هذا الإنسان، فقال: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، أي: ميّزه بالعلم والنطق، الذي لولاه لما انتفع بشيء من النعم.

وبعد هذا الاستفتاح الطيب لهذه السورة !! يكون الذكر لباقي النعم، فيقول سبحانه:

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا

وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧﴾

و ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ نعمتان من نعم الله على خلقه، وهما يجريان في هذا الكون

الهائل الفسيح ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ دقيق، يعلمه الله، ويُسيِّره كيف يشاء، ويتنفع به الإنسان في مصالحه ومعاشه، و ﴿النَّجْمِ﴾ وهو النبات الذي لا ساق له، ﴿وَالشَّجَرِ﴾ المعروف ﴿يَسْجُدَانِ﴾ لله تعالى؛ انقيادًا وطاعة، كما أن الشمس والقمر يسيران كما يريد الله؛ انقيادًا وطاعة.

﴿وَوَضَعَ﴾ سبحانه ﴿الْمِيزَانَ﴾: الذي به توضع الأمور في نصابها، ولا يكون ظلم ولا إجحاف، وهذا الميزان هو: العدل.

وكل ما مرَّ من دلائل وحدانية الله، وقدرته، وعظمته: يدعو إلى الخضوع له، والإيمان به، واتباع رسله، والعمل بشرعه سبحانه.

ومادام الميزان من وضع الله: فينبغي أن يلتزم به البشر، ولذلك: كان هذا التكليف الإلهي، والأمر المباشر.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾

نهى من الله تعالى عن الطغيان في كل الأمور، وأمر بالعدل فيها، ونهى - أيضًا - عن الخسران، وهكذا أمر المؤمنين: إقامة الحق والعدل، دون إفراط أو تفريط.
ثم يبدؤنا سبحانه: في ذكر نعمه وآلائه على خلقه، فيقول جل جلاله:

﴿وَالْأَرْضَ وَصَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾

سبحانه القادر!!

كما رفع السماء، وضع الأرض، وجعلها صالحة ﴿لِلْأَنَامِ﴾ وهي: جميع الخلائق، يستقرون عليها، ويتنعمون بها !! جعل فيها ما يعيشون عليه، ويتمتعون به.

﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾

هذه: آية من آيات وحدانيته، ودليل من دلائل قدرته، سبحانه المنعم جل جلاله!!

يا معشر الجن والإنس:

﴿فَيَا أَيُّهَا الْآلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

بأي نعمة من هذه النعم، ودليل من هذه الدلائل: تكذبان أنها من نعم الله!!؟ وبالتالي:
فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!!

هذه أول مرة ترد فيها هذه الآية الكريمة، التي ذكرت في هذه السورة، إحدى وثلاثين مرة.

ويقول العلماء: ثماني مرات منها: تأتي عقب ذكر نعم الله، ودلائل قدرته، وسبع مرات منها - بعدد أبواب جهنم - تأتي عقب تهديد المجرمين، الكافرين، المكذبين بهذه النعم، المنكرين لوحداية الله وقدرته، وثمانى مرات منها - بعدد أبواب الجنة - تأتي عقب ذكر الإنعامات العديدة، لمن ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [الرحمن: ٤٦] فأمن بوحدايته، وأذعن لقدرته، وثمانى مرات منها - بعدد أبواب الجنة كذلك - تأتي عقب ذكر إنعامات عديدة عقب الإنعامات السابقة على المتقين أهل الجنة.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾

سبحان القادر!! ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ بقدرته ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس ﴿كَالْفَخَّارِ﴾.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ بقدرته ﴿مِنْ مَّارِجٍ﴾ لهب خالص لا دخان فيه ﴿مِّنْ نَّارٍ﴾.

وهذه: آية من آيات وحدايته، ودليل من دلائل قدرته، سبحان المنعم جل جلاله!!

يا معشر الجن والإنس:

﴿فِيَايَ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾

بأي نعمة من هذه النعم، ودليل من هذه الدلائل: تكذبان أنها من نعم الله؟ وبالتالي:

فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!!

ثم يقول تبارك وتعالى:

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾

وهو سبحانه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨].

وهو سبحانه رَبُّ: ﴿الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

وشروق الشمس وغروبها: آية من آيات الله الدالة على وحدانيته سبحانه وقدرته، حيث إن الشمس لها في كل لحظة مشرق ومغرب، فهي إذاً: لها مشارق ومغارب. كما أن الناظر إليها يرى لها مشرقاً، ومغرباً، فهي إذاً: لها مشرق ومغرب. وفي الوقت ذاته ما يراه الناظر مشرقاً يراه غيره في الجهة المقابلة مغرباً، وما يراه هو مغرباً، يراه غيره مشرقاً، فهي إذاً: لها مشرقين ومغربين. وهذه: آية من آيات وحدانيته، ودليل من دلائل قدرته، سبحانه المنعم جل جلاله!! يا معشر الجن والإنس:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

بأي نعمة من هذه النعم، ودليل من هذه الدلائل: تكذبان أنها من نعم الله؟ وبالتالي: فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!! ثم يقول جل شأنه:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (١٩) ﴿يَنْتَهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَتَّعِيَانِ﴾ (٢٠)

سبحان القادر ﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح، وجعلهما ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ ويختلطان مع بعضهما البعض.

وكان بقدرته ﴿يَنْتَهَمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز، حتى ﴿لَا يَتَّعِيَانِ﴾ على بعضهما البعض كذلك.

وفي ذلك: من مصالح الناس ما فيه!! وهذه: آية من آيات وحدانيته، ودليل من دلائل قدرته.

يا معشر الجن والإنس:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

بأي نعمة من هذه النعم، ودليل من هذه الدلائل: تكذبان أنها من نعم الله؟ وبالتالي: فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!!

ثم يقول عظم شأنه:

﴿يَخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَاتُ﴾ (٢٢)

سبحان القادر!!

﴿يَخْرِجُ مِنْهُمَا﴾ أي: من مجموع البحرين ﴿اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَاتُ﴾.

وفي هذا: لفت نظر الناس إلى هذه النعم الجمالية الدقيقة، التي أودعها الله في الكون، وجعلها من الزينة.

يا معشر الإنس والجن:

﴿فِيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٣)

بأي نعمة من هذه النعم، ودليل من هذه الدلائل: تكذبان أنها من نعم الله ؟

وبالتالي: فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!!

ثم يقول تعالت عظمته:

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٢٤)

﴿وَلَهُ﴾ وحده: تسخير وتيسير ﴿الْجَوَارِ﴾ السفن بأشكالها وأنواعها ﴿الْمُنشَآتُ﴾

الموجودات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أي: مثل الجبال الشاهقة الارتفاع.

وفي هذا: تذكير بتسخير الله الأشياء للناس، حتى يتمكنوا من خلالها قضاء مصالحهم ومنافعهم.

يا معشر الإنس والجن:

﴿فِيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٥)

فبأي نعمة من هذه النعم، ودليل من هذه الدلائل: تكذبان أنها من نعم الله؟

فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!!

ثم يقول الحق سبحانه:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧)

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض من الأحياء ﴿فَانٍ﴾ أي: سيموت.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ دون فناء أو موت، فهو ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ أي: صاحب العظمة والسلطان، ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ وهو الإحسان.

وفي هذا: تنبيه على أنه عز وجل أهل لأن يُجَلَّ فلا يُعصَى، وأن يطاع فلا يُخالف، وهي في الوقت ذاته: آية من آيات وحدانيته، ودليل من دلائل قدرته.

يا معشر الإنس والجن:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٢٨)

فبأي نعمة من هذه النعم، ودليل من هذه الدلائل: تكذبان أنها من نعم الله؟ وبالتالي:

فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!!

ثم يقول الله عز وجل:

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩)

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الرحمة، وما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ﴾ سبحانه ﴿فِي شَأْنٍ﴾ من شؤونهم ﴿تُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ و ﴿تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

[آل عمران ٢٦، ٢٧].

ويشفي سقيماً، ويُمِرِّضُ سليماً، ويغفر ذنباً، ويفرِّج كرباً، ويرفع من يشاء، ويضع من يشاء، سبحانه وتعالى.

يا معشر الإنس والجن:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٠)

بأي نعمة من هذه النعم، ودليل من هذه الدلائل: تكذبان أنها من نعم الله؟

فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله؟

وهكذا انتهت المرات الثماني التي يعدد الله فيها نعمه على خلقه، ويدعوهم بتذكيرهم إياها للإيمان به، وشكره، وعبادته، وتقواه.

ثم تبدأ مرات التهديد السبع لمن لا يؤمن بهذه الدلائل، ولا يعترف بوحدانية الله، ويدعن لقدرته، فيقول عز من قائل:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١)

إنه: تهديد مخيف.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أي: سنقصدكم، ونتقم منكم، ونكل بكم ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَيْنِ﴾ الإنس والجن، وهو: تهديد لمن لا يؤمن بهذه الدلائل، ولا يعترف بوحدانية الله، ويدعن لقدرته، ثم يقول لهما:

﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعمة من النعم السابقة، ودليل من الدلائل المذكورة: تكذبان أنها من نعم الله؟ فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله؟ ثم يقول القوي العزيز:

﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

إنه: تهديد رهيب.

﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ﴾ كلكم ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ مجتمعين أو منفردين ﴿أَنْ تَنْفُذُوا﴾ أي: تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهي: مساحة محدودة في ملكوت الله ﴿فَانْفُذُوا﴾، إنكم لا تستطيعون، و ﴿لَا تَنْفُذُونَ﴾ بالفعل ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ منا نعطيكم لكم، وهو: قمة التحدي لمن لا يؤمن بالله، ولا يعترف بوحدانيته، ويدعن لقدرته، ثم يقول لهما:

﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فبأي نعمة من نعم الله، ودليل من دلائل قدرته: تكذبان!! فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله؟ ثم يقول المنتقم الجبار:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاطِئُ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ (٣٥)

ليس للبشر بهذا التهديد طاقة، ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ أيها الكفار من الجن والإنس ﴿شَوْاطِئُ﴾ أي: لهب ﴿مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ تعذبان به عذاباً ليس له مثيل، فتطلبان الخلاص من هذا العذاب، ﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ في طلبكما، وتنجوان من هذا العذاب.

وهذا: قمة الفزع والتخويف لمن لا يؤمن بالله، ولا يعترف بوحدانيته، ولا يدعن لقدرته ثم يقول لهما:

﴿فَيَا أَيُّهَا الْآلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٦)

فيا أي نعمة من نعم الله، ودليل من دلائل وحدانيته وقدرته: تكذبان!!
وبالتالي: فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله؟
ثم يقول القوي القادر:

﴿فَإِذَا أُنْشِقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٣٧)

إنه: يوم رهيب، نسأل الله فيه النجاة، ﴿فَإِذَا أُنْشِقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيامة، وانفك بعضها عن بعض؛ لقيام الساعة ﴿فَكَانَتْ﴾ ساعتئذ ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي: صارت كلون الورد، حيث تختلط الألوان والأصباغ من شدة الأمر، وهول يوم القيامة.
إذا حدث ذلك ماذا تفعلون؟ إذن يا معشر الإنس والجن:

﴿فَيَا أَيُّهَا الْآلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٨)

فيا أي نعمة من نعم الله، ودليل من دلائل وحدانيته وقدرته: تكذبان!!
فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله؟
ثم يقول العادل سبحانه:

﴿يَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩)

أي: في هذا اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم؛ لأنهم يُعرفون بسيماهم، وسواد وجوههم، قلّ فضلكم أيها المجرمون؟

يا معشر الإنس والجن:

﴿فَأَيُّ نِعْمَةٍ آَلَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ (٤٠)

فبأي نعمة من نعم الله، ودليل من دلائل وحدانيته وقدرته: تكذبان!!

فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله؟

ثم يقول العليم الحكيم:

﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١)

نعم، إنهم لا يسألون، بل يعرفون، حيث إن علامات سوء نهاياتهم تظهر على سيماهم، لذلك: يؤخذون أخذ عزيز مقتدر بالنواصي والأقدام!!

يا معشر الإنس والجن:

﴿فَأَيُّ نِعْمَةٍ آَلَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ (٤٢)

فبأي نعمة من نعم الله، ودليل من دلائل وحدانيته وقدرته: تكذبان!!

فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!!

ثم يقال لهم توبيخاً وتبكيّاً:

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣) ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنِ﴾ (٤٤)

أي: هذه جهنم ﴿الَّتِي﴾ كان ﴿يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ في الدنيا.

واليوم يدخلونها و ﴿يَطُوفُونَ﴾ يترددون ويسعون ﴿بَيْنَهَا﴾ بين جنباتها ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنِ﴾ أي: ماء حار شديد الحرارة.

يعني يُحرقون بها، فيستغيثون منها، فيُنقلون إلى الحميم، فيُسقون منه، ويُصب فوق رؤوسهم، فإذا استغاثوا منه: يُنقلون مرة أخرى إلى النار، وهكذا.. هذا هو العذاب.

يا معشر الإنس والجن:

﴿فَأَيُّ نِعْمَةٍ آَلَاءَ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ (٤٥)

فبأي نعمة من نعم الله، ودليل من دلائل وحدانيته وقدرته: تكذبان؟

فلا تؤمنان، أو لا تعبدان، أو لا تتقيان الله!!

وهكذا انتهت المرات السبع التي هدد الله فيها، وبكت المجرمين على عدم تذكرهم بنعمه التي بينها لهم، ومتعمهم بها، ولكنهم لم يؤمنوا، ولم يعبدوا، ولم يتقوا ربهم .

ثم تبدأ مرات الذين يخافون مقام ربهم، وهي: ثماني مرات، على النحو التالي، حيث يقول الله تعالى:

﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۝٤٦﴾

أي: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ فترك المعاصي، وأدى الفرائض، وراقب ربه في كل حال، وهم: السابقون المقربون، من الإنس والجن، لهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ من ذهب أنيتهما، وما فيهما، وهما: جنة عدن، وجنة النعيم، يا أهل هذا النعيم..

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾

بأي نعمة من نعم الله الدنيوية التي ذكرت، والأخروية التي توعدون، بها تكذبان؟ ولا بشيء من آلائك كلها تكذب يا رب العالمين.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۝٤٨﴾

أي: هاتان الجنتان فيهما أشجار كثيرة، ولهذه الأشجار أغصان جميلة، ولها ثمار يانعة، ومناظر بديعة، وظل ظليل.

إذن: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩﴾

يقول أهل الصلاح: ولا بشيء من آلائك ربنا تكذب.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١﴾

في هاتين الجنتين، البديعتين: ﴿عَيْنَانِ﴾ من الماء الزلال، إحداهما التسنيم، والثانية السلسيل، وهاتان العينان ﴿تَجْرِيَانِ﴾ بالماء، حيث شاء أهل هذا النعيم.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ يا أهل الدنيا ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

يقول أهل الصلاح: ولا بشيء من آلائك ربنا تكذب.

﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾

في هاتين الجنةين البديعتين ﴿مِنْ كُلِّ فَنَكْهَةٍ﴾ تخطر على البال، أو لا تخطر: ﴿زَوْجَانِ﴾ صنفان، أحدهما معروف لأهل الجنة، والآخر جديد عليهم.

﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا﴾ يا أهل الدنيا ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

يقول أهل الصلاح: ولا بشيء من نعمك كلها ربنا نكذب.

ثم يصف ربنا بعض أحوال أهل هاتين الجنةين، فيقول جل وعلا:

﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَتَّى الْجَنَّةِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾

أي: منعمين مستريحين ﴿عَلَى فُرُشٍ﴾ وثيرة ﴿بَطَّائِنُهَا﴾ الداخلية ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو الحرير السميك المزين.

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: وهذا ظاهرها، فما بالكم بباطنها!!؟

﴿وَحَتَّى﴾ أي: ثمر ﴿الْجَنَّةِ﴾ بكل أنواعه ﴿دَانٍ﴾ وقريب منهم، متى أرادوه.. نالوه، يسر وسهولة.

﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا﴾ يا أهل الجنة ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

يقول أهل الصلاح: ولا بأي من آلائك نكذب يا ربنا.

ثم يصف ربنا تبارك وتعالى شيئاً مما فيها لمن خاف مقام ربه، وهذا من صور الإنعام والتكريم، فيقول جل جلاله:

﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَانَتْهُنَّ أَلْبَاقُوتٌ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في هذه الجنان، وعلى هذه الفرش التي بها: نساء ﴿قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ﴾ حياءً وأدباً، لا ينظرون إلا إلى أزواجهن، بل تقول الواحدة منهن لزوجها: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، ولا أحب إليّ منك، فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك.

وهؤلاء النسوة: ألكار ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ أي: يجامعن ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾.
﴿فِيَّائِي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ يا معشر الجن والإنس ﴿تُكَذِّبَانِ؟﴾
وهؤلاء النسوة أيضاً ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ لحسنهن: في صفاء ﴿أَلْيَافُوتُ﴾ الأحمر، وجمال
﴿أَلْمَرْجَانُ﴾ أي: صغار اللؤلؤ.

﴿فِيَّائِي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ هذه ﴿تُكَذِّبَانِ؟﴾.

ثم يقرر ربنا عز وجل ويؤكد أمراً ما، لمن خاف مقام ربه من النعيم، بقوله تعالى:

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿فِيَّائِي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٦١﴾

ما تظنون يا معشر الجن والإنس؟

﴿هَلْ﴾ تظنون أن جزاء الإحسان في الدنيا من الإيمان والعمل الصالح شيئاً آخر غير
هذا الإحسان، الذي عرفتم شيئاً من ألوانه وصوره؟

إذن ﴿فِيَّائِي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فلا تشكران، وتؤمنان، أو تعبدان، أو تتقيان

الله!!

وهكذا انتهت المرات الثمان، من قوله تعالى: ﴿فِيَّائِي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ التي
ذكرها الله عز وجل في حديثه عن: ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وهم السابقون
المقربون.

ثم تبدأ ثماني مرات آخر مع الحديث عن أهل اليمين، يقول الحليم الكريم:

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿فِيَّائِي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٦٣﴾

أي: ﴿وَمِنْ﴾ دون الجنتين السابقتين ﴿جَنَّتَانِ﴾ لأهل اليمين.

وهما: جنة الفردوس، وجنة المأوى، وهما: من فضة آتيتهما، وما فيهما كله.

﴿فِيَّائِي﴾ شيء من ﴿ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ هذه ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ فلا تشكران يا معشر الجن

والإنس!!!

وهاتان الجنتان:

﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿فِيَّائِي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ أي: شديدتا الخضرة، وهو أفضل الألوان في المزروعات.

﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ ونعمه هذه ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ يا معشر الجن والإنس، فلا تشكران الله، ولا تتقيان؟

ثم يقول سبحانه عن هاتين الجنتين:

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ۖ ﴿٦٦﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾

أي: في هاتين الجنتين ﴿عَيْنَانِ﴾ من الماء الزلال ﴿نَضَّخَتَا﴾ فَوَّارَتَانِ به دائماً، لا ينقطع ماؤهما أبداً، وهو منظر: في غاية الحسن والجمال.

﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ ونعمه الدالة على وحدانيته، وقدرته ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ يا معشر الجن والإنس، ولا تشكران الله، ولا تتقيان؟

أيضاً: ﴿فِيهِمَا فَكَّهٌُ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

أيضاً: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَٰهٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فِيهِنَّ﴾ أي في هذه الجنات: مخلوقات ﴿خَيْرَاتٌ﴾ جميلات ﴿حِسَانٌ﴾ الخلق والخلق.

﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فلا تتقيان الله، ولا تشكران؟

وهؤلاء الخيرات: هن ﴿حُورٌ﴾ ذوات عيون جميلة، واسعة، بياضها شديد، وسوادها شديد، وهن ﴿مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ملازمات للخيام حياء وأدباً، لَسْنَ من الطوافات المتبدلات في الطرقات.

﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فلا تتقيان الله، ولا تشكران؟

وهؤلاء الحور: عرباً، أتراباً، أبكاراً ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ أي: لم يجامعن أبداً ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ إذن ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ فلا تتقيان الله، ولا تشكران؟

ثم يصف ربنا بعض أحوال أهل هاتين الجنتين، فيقول سبحانه:

﴿مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٧٧﴾

أي: منعمين مستريحين ﴿عَلَى رَفْرَفٍ﴾ وسائد ﴿خُضِرٍ﴾ اللون تريح العيون ﴿و﴾ حرير ﴿عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ جيد.

﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يا معشر الجن والإنس!!

فلا تشكران المولى فتؤمنان، أو تعبدان، أو تتقيان الله!!

وهكذا، انتهت المرات الثماني الأخيرة من قوله تعالى: ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

بل انتهت المرة الحادية والثلاثون، والتي كان المولى يقرع فيها الإنس والجن؛ لعدم إيمانهم، بل يحث فيها الإنس والجن: على الإيمان والطاعة.

ختامًا لهذه النعم، ولهذا الوعيد، ولتلك الوعود يقول الحكيم الخبير:

﴿نَبْرَكَ أَنتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿٧٨﴾

حقًا: ﴿نَبْرَكَ﴾ وتعظيم ﴿أَنتُمْ رَبِّكَ﴾ الواحد الأحد سبحانه ﴿ذِي الْجَلَلِ﴾ والمهابة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ لأوليائه بالإنعام.

فهو العظيم: الذي ينبغي أن يُطاع فلا يعصى، وأن يُشكر فلا يكفر، وأن يُذكر فلا يُنسى. سبحانه وتعالى جل شأنه، وتعالى عظمته سبحانه.

وبهذا الختام: ختمت سورة الرحمن، والتي تسمى «عروس القرآن» لما ورد في الحديث الشريف عن علي (عليه السلام) مرفوعاً: «لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ، وَعَرُوسُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الرَّحْمَنِ».



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الواقعة

قال عنها أحد الصالحين: مَنْ أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة وأهل النار، ونبأ أهل الدنيا وأهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة.

ودخل عثمان بن عفان رضي الله عنه على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يزوره في مرضه الذي مات فيه.. فقال له: ما تشتهي؟ قال: ذنوبي.

قال له: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي.

قال له: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني.

قال له: أفلا تأمر لك بعتاء؟ قال: لا حاجة لي فيه.

قال له: يكون لبناتك من بعدك.

قال: أتخاف على بناتي الفقر من بعدي؟

إنني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة، حيث إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة لم يصبه فقر أبداً» رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وتبدأ هذه السورة بقوله عز وجل:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَنَسَ لَوْعَنِهَا كَذِبُهُ ۚ﴾ (١) ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۚ﴾ (٢) ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۚ﴾ (٣) ﴿وُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۚ﴾ (٤) ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۚ﴾ (٥) ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ﴾ (٦) ﴿وَأَنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ﴾ (٧)

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة لا يكون هناك مكذب بها.

وهي ﴿خَافِضَةٌ﴾ لأقوام، حيث تدخلهم النار ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لشأن أقوام آخرين، وهم الصالحين، حيث تدخلهم الجنة.

وذلك يكون ﴿إِذَا﴾ حدث، و ﴿رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: اهتزت وتحركت حركة شديدة، رهيبة بكل ما عليها، ومن عليها.
 ﴿و﴾ بعد ذلك ﴿بُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ أي: تفتتت إلى ذرات ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ غبارًا ﴿مُبْنًًا﴾ أي: منتشرًا في الفضاء.

﴿كُنْتُمْ﴾ أيها الناس في هذا اليوم ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ أي: أصنافًا ثلاثة.

صنفان في الجنة، وصنف في النار، وذلك حسب البيان الإلهي التالي:

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ وهكذا:

الصنف الأول: هم أصحاب الميمنة، الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، وهم من أهل الجنة.

والصنف الثاني: هم أصحاب المشأمة، الذين يؤتون كتبهم بشمالهم، وهم من أهل النار.

والصنف الثالث: هم ﴿السَّيِّئُونَ﴾ في الدنيا إلى الخيرات، ﴿السَّيِّئُونَ﴾ يوم القيامة إلى

الجنات.. اللهم اجهلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وهؤلاء السابقون يقول عنهم رب العزة:

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

يعني هم ﴿المُقَرَّبُونَ﴾ عند الله، يقيمون ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ جنات الخلد.

وهؤلاء المقربون:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾

ثلاثة: أي جماعة كثيرة ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ التابعين للأنبياء السابقين، ومن

صدر هذه الأمة التابعين لمحمد ﷺ.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الْآخِرِينَ﴾ من هذه الأمة.

وهؤلاء المقربون:

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَنَ

مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَخَوْرٍ عَيْنٍ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُو

الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

إنهم يكونون في جنات النعيم ﴿٢٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿٢٥﴾ أي: منسوجة ومرصعة بالذهب.

كما أنهم يجلسون ﴿٢٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا ﴿٢٤﴾ في سعادة بالغة ﴿٢٥﴾ مُتَقَلِّبِينَ ﴿٢٦﴾ و ﴿٢٧﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴿٢٨﴾ وهم في هذا النعيم ﴿٢٩﴾ وَلَدَانِ مُخْلِذُونَ ﴿٣٠﴾ في وضعهم هذا وسنتهم هذا؛ يخدمونهم ولا يهرمون، وهم من خلق الجنة الجديد، كالحور العين.

يطوفون عليهم ﴿٢٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ ﴿٢٨﴾ كلها مملوءة ﴿٢٩﴾ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ أي: عين تجري بخمر الجنة، لا تنقطع، ولا ينتهي ما فيها، وهم ﴿٣١﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴿٣٢﴾ أي: لا يصيبهم الصداق الذي يصيب شارب خمر الدنيا، ﴿٣٣﴾ وَلَا يُزْفُونَ ﴿٣٤﴾ أي: ولا تذهب عقولهم سُكْرًا من شربها، كما يصيب شارب خمر الدنيا، ﴿٣٥﴾ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ ﴿٣٦﴾ أي: يختارون من فاكهة الجنة ما تشتهيه نفوسهم لكثرتها وتنوعها، ﴿٣٧﴾ وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣٨﴾ ويحبون، ففي الحديث: «إِنَّكَ لَتَنظُرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ فَيَخْرُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَشْوِيًا».

﴿٣٩﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٤٠﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكُونِ ﴿٤١﴾ أي: ولهم مع ذلك النعيم نساء من الحور العين، والواسعات العيون في غاية الجمال والبهاء، كأنهن اللؤلؤ في الصفاء والنقاء، ﴿٤٢﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ أي: جعلنا لهم ذلك كله جزاء لعملهم الصالح في الدنيا، وأهل الجنة في الوقت ذاته ﴿٤٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴿٤٥﴾ أي: في الجنة ﴿٤٦﴾ لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٤٧﴾ كلامًا ساقطًا أو سيئًا، لا يسمعون فيها ﴿٤٨﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٤٩﴾.

ولما ذكر المولى هؤلاء السابقين المقربين ونعيمهم، عطف عليه بذكر أصحاب اليمين الأبرار، فقال الحق سبحانه:

﴿٥٠﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٥١﴾ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٥٢﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٥٣﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٥٤﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٥٥﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٥٦﴾ وَفَكَهْهَ كَثِيرٍ ﴿٥٧﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٥٨﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٥٩﴾

يعني ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم؛ لصلاحهم في الدنيا، فما أعظم وأحلى وأجمل ما فيه ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هؤلاء.

إنهم يتمتعون ﴿فِي﴾ ثمار ﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ لا شوك فيه يؤلم أناملهم.

﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ ثمار شجر الموز الكثيرة الناضجة.

﴿وَزَيْلٍ مَّدْودٍ﴾ لا حر فيه ولا برد.

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ جار بنعومة، تُسرُّ به العين، ويُسعد به خاطر.

﴿وَفِيهَا كَثِيرٌ مِّنَ الْأَنْوَاعِ وَالْأَشْكَالِ وَالطَّعُومِ﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ عَنْهُمْ وَلَا مَمْنُوعَةٍ مِنْهُمْ.

﴿وَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ قُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ عالية القدر، رفيعة المنزلة عليها خلق جديد من نساء الجنة.

يقول عنهن رب العزة تبارك وتعالى:

﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٣٨﴾

أي: أنشأناهن إنشاءً جديدًا، ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ حتى وإن كنَّ قد مُتْنَ ثِيَّات.

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ أي: صغيرات، مستويات في السن، في الثالثة والثلاثين، كما في الأحاديث، لا يهرمن ولا يمرضن، ولا يتحوّل جمالهن.

وهن ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ إنعامًا من الله تعالى.

أصحاب اليمين هؤلاء يكونون:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝٤٠﴾

﴿ثُلَّةٌ﴾ أي: جماعة كثيرة ﴿مِّنَ﴾ المؤمنين ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ التابعين للأنبياء السابقين، ومن صدر هذه الأمة التابعين كذلك لمحمد ﷺ.

﴿و﴾ كذلك ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ﴾ المؤمنين ﴿الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ.

بعد أن ذكر الله عز وجل في أول السورة طوائف الناس يوم القيامة!! وبعد ذكر نعيم

السابقين، وأصحاب اليمين!! يبين فيما يلي أحوال أصحاب الشمال، وما هم فيه من سوء مصير، فيقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾

يعني ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ الذين يؤتون كتبهم بشمالهم يوم القيامة، لسوء أفعالهم في الدنيا، ما أسوأ وأبأس وأفظع ما فيه ﴿أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ هؤلاء.

إنهم ﴿فِي﴾ عذاب ﴿سُمُومٍ﴾ وهي الريح الحارة التي تخرج لهم من النار، وتنفذ في مسامهم ﴿وَحَمِيمٍ﴾ كذلك أي: ماء شديد الحرارة.

﴿و﴾ هم في ﴿ظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ﴾ دخان شديد السواد، يعمي العيون، ويزكم الأنوف. هذا الظل ﴿لَا بَارِدٍ﴾ مثل أي ظل ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ في منظره.

ولكن لماذا كل هذا؟ يقول العزيز الحكيم:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْهِنِّ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا لَمْبَعُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿قَبْلَ ذَلِكَ﴾ اليوم يتصفون بسيئات ثلاث:

الأولى: أنهم كانوا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ لا يتعبون أنفسهم في طاعة الله.

الثانية: أنهم كانوا ﴿يُصْرُونَ عَلَى الْهِنِّ الْعَظِيمِ﴾ وهو الشرك.

الثالثة: أنهم ﴿كَانُوا﴾ ينكرون البعث، و ﴿يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا لَمْبَعُونَ﴾ مرة أخرى ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ ؟

ولخطورة هذا الكلام وفساده، يقول رب العزة لمحمد ﷺ: رُدَّ عليهم هذه المفاهيم

الفاصلة:

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لأصحاب هذه المزاعم ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ بقدرة الله تعالى، ﴿إِنَّ

الْأُولَئِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٥١﴾ بعد إحيائهم وبعثهم ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم القيامة.

حيث يتفضل المولى على أهل الإيمان بالنعيم، وينزل عذابه العادل بأهل الكفر المشركين.

ولخطورة مواقفهم، وفساد سلوكهم يهددهم الجبار سبحانه، حيث يقول جل وعلا:

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥٢﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٥٣﴾ فَأَلْتُونَهَا الْبُطُونُ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ في أي زمان، وفي أي مكان، ومن أي جنس إذا بقيتم على كفركم وعنادكم!! لداخلون إلى جهنم، وأكلون فيها ﴿مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ﴾ وهو شجر ينبته الله في جهنم، بشع المنظر، كريه الرائحة، سيء الطعم، وليس لكم في الأكل منه وعدم ذلك خيار.

فإنكم من شدة الجوع تأكلون من أشجاره وتأكلون ﴿فَأَلْتُونَهَا الْبُطُونُ﴾ ثم يصيبكم العطش، فتحتاجون إلى الشراب، يقول المولى: ﴿فَشَرِبُوا عَلَيْهِ﴾ أي: هذا الزقوم ﴿مِّن الْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الحار الذي تتقطع منه الأمعاء دون ارتواء، فتزدادون عطشاً على عطش، فتشربون ثانية وثالثة، دون ارتواء.

﴿فَ﴾ تصيرون ﴿شَارِبُونَ شُرْبِ الْهَيْمِ﴾ وهي البهائم العطشى التي لا تدري ماذا تفعل.

﴿هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

وجزاؤهم، ومكانهم، واستحقاقهم في يوم ﴿الدِّينِ﴾ وهو يوم القيامة.
ألا، فليتبه الضالون المكذبون، ألا، فليتبه الضائعون المترفون، والمعاندون اللاهون.

ثم يقول عز وجل لهؤلاء المكذبين:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

أي: ﴿نَحْنُ﴾ الذين ﴿خَلَقْنَكُمْ﴾ أولاً، وبالتالي: فنحن قادرون على إعادتكم ثانيًا، وعلى مجازاتكم على الخير خيرًا، وعلى الشر بمثله، ﴿فَلَوْلَا﴾ ﴿فَهَلَّا﴾ ﴿تَصَدَّقُونَ﴾ بيوم البعث هذا، وبالتالي: تؤمنون بالله وبقدرته، فتعبدونه، وتطيعونه!!

ثم يقدم الله عز وجل لهم الأدلة الملزمة لإيمانهم، والمبطللة لتكذيبهم، حيث يقول:

في الدليل الأول:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ۚ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

أي: أخبروني عن ﴿مَا تُمْنُونَ﴾ وهو الماء الذي تقذفونه في الأرحام، ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ تخلقونه بشرًا ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ له؟

أليس ذلك بدليل على قدرة الله ووحدانيته؟ ثم ﴿نَحْنُ﴾ الذين ﴿قَدَرْنَا﴾ أعماركم بالطول لهذا والقصر لغيره، وجعلنا ﴿بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ نهاية لحياتكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: بعاجزين ﴿عَلَىٰ﴾ أي: عن ﴿أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ ونغير خلقكم يوم القيامة، ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ خلقًا آخر في الصفات والأحوال.

أليس ذلك بدليل على قدرة الله ووحدانيته؟

خاصة أنه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ وهي الخلق الأول واعترفتم أن الله هو الذي خلقكم ﴿فَلَوْلَا﴾ ﴿فَهَلَّا﴾ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون بالله وبقدرته، فتعبدوه وتطيعونه؟

وفي الدليل الثاني يقول سبحانه:

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۚ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا مَّا فَظَلَمْتُمْ فَتَكْمُؤُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

أي: أخبروني عن ﴿مَا تَحْرُثُونَ﴾ من الأرض، وإلقاء البذر فيها، ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ الذين ﴿تَزْرَعُونَهُ﴾ أي: تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ﴾ بقدرتنا ﴿الزَّارِعُونَ﴾ له، أليس ذلك بدليل على

قدرة الله ووحدانيته؟

يا هؤلاء ﴿لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ﴾ ﴿حُطَمَاءً﴾ هَشِيمًا مَكْسَرًا، لا نفع فيه ﴿فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجبون، وتحسرون على ما أنفقتم عليه، وتقولون: ﴿إِنَّا لَمُعْرَمُونَ﴾ دفعنا وأنفقنا وغرمنا وخسرنا، ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أصحاب حظ سيء.

أليس رزقنا لكم، وعطفنا عليكم بدليل على قدرتنا ووحدانيتنا؟

وهلآ آمنتُم بالله وبقدرته، فتعبدونه وتطيعونه!!

وفي الدليل الثالث يقول سبحانه:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

أي: أخبروني عن ﴿الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ منه، ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ الذين ﴿أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ أي السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ﴾ بقدرتنا ﴿الْمُنْزِلُونَ﴾ له منها؟

أليس ذلك بدليل على قدرة الله ووحدانيته؟ يا هؤلاء ﴿لَوْ شَاءَ لَجَعَلْنَاهُ﴾ بقدرتنا ﴿أُجَاجًا﴾ شديد الملوحة والمرارة، بدل ما هو عذب فرات، أليس ذلك - أيضًا - من رحمتنا بكم وعطفنا عليكم، وهو دليل على قدرتنا ووحدانيتنا؟ إذا ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ الله، فتؤمنون به، وتعبدونه وتطيعونه؟!

وفي الدليل الرابع يقول العليم الحكيم:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

أي: أخبروني عن النَّارِ ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾ تشعلونها، ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ الذين ﴿أَنْشَأْتُمْ﴾ خلقتم ﴿شَجَرَتَهَا﴾ أي: الشجر ﴿أَمْ نَحْنُ﴾ بقدرتنا ﴿الْمُنْشِئُونَ﴾ الخالقون لها؟

أليس ذلك بدليل على قدرة الله ووحدانيته؟

يا هؤلاء: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ للناس ﴿تَذْكِرَةً﴾ دائمة أمامهم بنار جهنم، ﴿و﴾ جعلناها كذلك ﴿مَتَاعًا﴾ منفعة ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ المسافرين يهتدون بها.

أليس ذلك بدليل على قدرتنا ووحدانيتنا؟ هَلَّا آمَنتُمْ!! هَلَّا أَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ!!
وفي نهاية هذه الأدلة القوية الواضحة يتركهم رب العزة، ويقبل على حبيبه ﷺ أمراً له
بما يجب على كل البشر لرب العالمين، حيث يقول له:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤)

أي: عظم ربك على هذه النعم الجليلة، ونزّهه سبحانه عما يقول الكافرون.

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

ولمّا قدّم النبي ﷺ الدلائل على وحدانية الله تعالى وقدرته للمنكرين، ومع ذلك لم
يؤمنوا!! لم يبق إلّا القَسَم، لذلك قال لهم:

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦)

أي: أقسم ﴿بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ وهي: منازلها عند انتقالها وحركتها في هذا الكون
الفسيح.

﴿وَإِنَّهُ﴾ في حقيقة الأمر ﴿لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ﴾ سعة هذا الكون، وكثرة نجومه
ومجراته، ودقة سيرها، وعدم اصطدامها؛ لعرفتم أنه قسم ﴿عَظِيمٌ﴾.

ولكن علام هذا القسم؟ على أنّ القرآن من عند الله تعالى، وهو كتاب كريم.

يقول الحق سبحانه:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٧) ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ (٧٨) ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (٧٩)

نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٠)

نعم ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ على الله، عظيم النفع في الدنيا والآخرة، وهو ﴿فِي كِتَابٍ
مَّكْنُونٍ﴾ أي: مصون عن أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، وهو اللوح
المحفوظ، أو المصحف الشريف.

وهذا الكتاب - ثالثاً - ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي: الملائكة، أو لا يمسه إلّا
الذين طهروا أنفسهم من الأحداث.

وهو - وصف رابع - ﴿تَزِيلٌ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وليس كما يقول الكافرون من أنه: سحر أو كهانة، أو شعر.. الخ ما قالوه.

هذا هو القرآن الكريم...!! وهذه بعض أوصافه...!!
ثم يقول ربنا تبارك وتعالى للكافرين بهذا القرآن:

﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

يعني: ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ مكذبون...؟

﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ شكر رِزْقِكُمْ به من الله تعالى، وهو أفضل أنواع الرزق ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ به.

إنكم حقاً لا تعقلون!!

ثم يقول عز وجل للمنكرين للبعث والحساب:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُورَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

أي: فهلاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ساعة احتضار الميت، ﴿وَأَنْتُمْ﴾ في هذه الحالة ﴿نَنْظُرُونَ﴾ إليه، وعاجزون عن فعل أي شيء، ﴿وَنَحْنُ﴾ بقدرتنا ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي: إلى الميت ﴿وَلَكِنْ لَا بُصُورَ﴾ هذه القدرة؛ لعدم إيمانكم.

على أية حال: فهلاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ كما تزعمون ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير محاسبين؛ لإنكاركم البعث، تستطيعون أن ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ وهي الروح في هذه الحالة إلى الجسد، فلا يموت المرء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في نفي قدرتنا ووحدانيتنا؟

يا هؤلاء اعلموا جيداً: أن الناس في هذه اللحظة ثلاثة أصناف: وهؤلاء هم، وهذه أحوالهم فيها:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَزُلٌّ مِنَ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾

يعني ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ المرء ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ..
 فله راحة، وأمان، ورائحة طيبة، في نعيم مقيم.

و ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ المرء ﴿مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم
 فيقال له في هذه الحال: سلام لك من إخوانك أصحاب اليمين، في بشارة سارة طيبة.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ المرء ﴿مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ وهم أصحاب الشمال، فله:
 ﴿نُزُلٌ﴾ ضيافة ﴿مِّنْ﴾ شراب ﴿حَمِيمٍ﴾ حار تتقطع منه أمعاؤه.

وله بعد ذلك ﴿تَصْلِيَةٌ جَمِيمٌ﴾ أي: دخول في جهنم يصلون بعدابها.

ختاماً: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾

أي: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ القرآن وما فيه ﴿هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ الذي لا شك فيه.

لذلك ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: عظم ربك على هذه النعم الجليلة،
 ونزهه سبحانه عما يقول الكافرون، ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحديد

سورة مدنية، وهي تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

أي: نزه الله تبارك وتعالى كل ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو سبحانه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب لكل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ في جميع الأفعال.
وهو سبحانه:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

﴿لَهُ﴾ لا غيره ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما، ومن فيهما، وهو سبحانه ﴿يُحْيِي﴾ الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء بقدرته، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

إنه سبحانه:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤)

﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الْأَوَّلُ﴾ السابق على جميع الموجودات، ﴿وَهُوَ﴾ هو سبحانه

﴿الْآخِرُ﴾ الباقي بعد فناء جميع الموجودات، ﴿و﴾ هو سبحانه ﴿الظَّاهِرُ﴾ وجوده عن طريق مخلوقاته وإنعاماته، ﴿و﴾ هو سبحانه ﴿الْبَاطِنُ﴾ الذي ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إجمالاً وتفصيلاً.

﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ بقدرته ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق بذاته جل وعلا، وهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ إِلَىٰ يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، ﴿و﴾ هو سبحانه يعلم ﴿مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من ملائكة وأمطار، وغير ذلك، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ من الملائكة والأرواح والدعوات.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿مَعَكُمْ﴾ بعلمه وقدرته ورحمته ﴿أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ومتى كنتم، ﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم فيجازيكم بما تستحقون.

وهو سبحانه:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٥﴾ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٦﴾

حقاً ﴿لَهُ﴾ سبحانه لا غيره ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما، ومن فيهما.

﴿و﴾ لذلك ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وحده ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الدنيا والآخرة.

حيث إنه القادر، ف: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يدخل الليل في النهار، ﴿وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ بقدرته وعظمته!! ﴿وَهُوَ﴾ كذلك ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعلم السرائر، وإن خفي ما فيها.

ومن كان هذا شأنه ووصفه، فإن مرجع الأمور كلها - بالضرورة - إليه سبحانه.

لكل هذا: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧)

﴿ءَامِنُوا﴾ أي: صدقوا ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ، أيضًا ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ من مال الله الذي ﴿جَعَلَكُمْ﴾ سبحانه ﴿مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ لا مالكين له، حيث إن المالكية لله وحده، فكل شيء ملكه، ونحن عبيده، آمنوا، وأنفقوا ﴿فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ﴾ بالله ورسوله ﴿وَأَنْفَقُوا﴾ في سبيل الله ﴿لَهُمْ﴾ عند الله ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

ويناقش ربنا عز وجل المتقاعسين عن الإيمان، فيقول جل ثناؤه:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٨) ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْنَطُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٩)

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ وأي عذر لكم يجعلكم ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ تعالى، خاصة: ﴿وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ﴾ بالحكمة والموعظة الحسنة، والأدلة الواضحة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾!! ﴿و﴾ كما أنه سبحانه ﴿قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ بما رغب فيكم من العقل الذي يعرف صدق دعوة الرسل، وذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بشيء لأجل دليل، فهذا هو الدليل، فما لكم لا تؤمنون إذا؟

على أية حال: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ءَايَاتٍ يَبْنَطُ﴾ واضحات، في القرآن الكريم، وذلك ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ بها ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه ﴿بِكُمْ﴾ على هذا النحو ﴿لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

ثم يناقش ربنا عز وجل كذلك المتقاعسين عن الإنفاق في سبيل الله، فيقول جل وعلا:

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَغْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠) ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُرْضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۖ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١١)

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ وأي عذر لكم في ﴿أَلَا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ خاصة ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثٌ﴾ أي ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فأنتم لا تنفقون من ملككم، حيث إن الملك كله له، إنه ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ﴾ في المنزلة والأجر ﴿مَنْ أَنْفَقَ﴾ في سبيل الله ﴿مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ أي: فتح مكة، وعز الإسلام ﴿وَقَتْلَ﴾ كذلك في سبيل الله مع مَنْ أَنْفَقَ بعد الفتح وقاتل كذلك، ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ﴿أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ﴾ أي: بعد الفتح ﴿وَقَتَلُوا﴾، ﴿و﴾ لكن ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ أي: النتيجة الحسنة، وهي الجنة، ﴿وَاللَّهُ﴾ جلّت حكمته ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ فيجازي كُلًّا بما يستحق، يا أهل الإيمان!!

﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ منكم ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: ينفق في سبيل الله؟ ماذا يكون لمن يفعل ذلك؟ يقول تعالى: ﴿فِيضِلْعَفْدُهُ لَهُ﴾ أي: يضاعف له ثوابه، أيضًا ﴿وَلَهُ﴾ فوق ذلك ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهو رفع الدرجات. ولكن متى يكون ذلك؟

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢)

نعم، يكون يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المنفقين في سبيل الله والمنفقات ﴿يَسْعَى﴾ يتحرك ﴿نُورُهُمْ﴾ معهم في كل اتجاه ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، وتقول لهم الملائكة: ﴿بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ﴾ لكم ﴿جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، حقًا ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

أيضًا: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقَسُوا مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١٣)

نعم، يكون ذلك أيضًا في يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم، وهم يسرون إلى الجنة ﴿انظُرُونَا﴾ أي: انتظرونا ﴿نَقَسُوا﴾ نأخذ شيئًا ﴿مِنْ نُورِكُمْ﴾ الذي حرمانا منه.

يقول تعالى: تهكمًا بهم ﴿قِيلَ﴾ لهم ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ أي: إلى الدنيا إن كنتم تستطيعون ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ بإيمانكم وإنفاقكم في سبيل الله، فلا تستطيعون!!

ويكون الجواب العملي: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُم﴾ أي بين المؤمنين والمنافقين ﴿يَسُورُ لَهُ﴾ بَابٌ ﴿يَدْخُلُ مِنْهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَهَذَا السُّورُ﴾ بِأُطْنُهُ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴿وَوَظَاهِرُهُ﴾ لِلْمُنَافِقِينَ ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ لَهُمْ.

وعندها: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (١٤) ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٥)

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون على المؤمنين، قائلين لهم: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدنيا مرافقين لكم؟ ﴿قَالُوا﴾ أي: المؤمنون لهم: ﴿بَلَىٰ﴾ لقد كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بنا الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ في توحيد الله وقدرته، وفي القرآن، وفي البعث ﴿وَوَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ في المال والجاه والدنيا ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بالموت دون أن تتوبوا وتؤمنوا، ﴿و﴾ هكذا ﴿غَرَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ وعدم الإيمان به ﴿الْغُرُورُ﴾ وهو الشيطان.

﴿فَالْيَوْمَ﴾ وبكل حسرة منكم ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ فداء لأنفسكم من النار ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جميعاً، حيث ﴿مَأْوَتْكُمُ﴾ سكنكم ﴿النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أولى بكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ لكم.

ثم، حماية من الله للمؤمنين!! يحثهم على خشوع القلب لذكر الله، وينهاهم عن قسوة القلب، حيث يقول المولى سبحانه:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ألم يحن للذين آمنوا ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهو القرآن ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ فيه، فيحافظوا عليه، ويعملوا بما فيه!! ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ وهم اليهود والنصارى، حرّفوا كتاب الله، وبدّلوه ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ وهو الزمن بينهم، وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ حيث أصبحت لا تلين لذكر الله، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿فَلَسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله، فلا تكونوا مثلهم.

أَيْضًا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٧)

نعم ﴿اعْلَمُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ عز وجل ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات، وكذلك يحيي القلوب بالخشية من الله بعد قسوتها، وهكذا ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الدالة على قدرتنا، والداعية إلى خشيتنا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلالاتها، فتزدادون خشية الله، وإقبالاً على طاعته، وإنفاقاً في سبيله.

ثم يقول سبحانه:

﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعِفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨)

يعني: إن المتصدقين والمتصدقات ﴿و﴾ هم الذين ﴿أَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ أي: أنفقوا في سبيله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بنية خالصة؛ ابتغاء مرضاته!! ﴿يَضَعِفُ لَهُمْ﴾ جزاء إنفاقهم، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، ﴿و﴾ فوق ذلك ﴿لَهُمْ﴾ عند الله ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١٩)

إن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدّقوا ﴿بِاللَّهِ﴾ واتبعوا طريق ﴿رُسُلِهِ﴾ فيما أخبروهم به عن الله، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ﴾ أي: بمنزلة الصديقين والشهداء ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هؤلاء ﴿لَهُمْ﴾ عند الله ﴿أَجْرُهُمْ﴾ العظيم ﴿وَنُورُهُمْ﴾ يسعى بين أيديهم وبأيمانهم على مقدار عملهم الصالح في الدنيا، ﴿و﴾ أما ﴿الَّذِينَ

كَفَرُوا ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿وهي المسطورة مثل القرآن، والمنظورة في الأكوان، ﴿أُولَئِكَ﴾ هم ﴿أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾﴾
 أَيْهَا النَّاسُ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

نعم، ﴿اعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ في حقيقتها: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعب الصبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النساء، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ كتفاخر الأقران.

﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ مباهة ﴿فِي﴾ كثرة ﴿الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، مثلها ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أي: الزَّرْع ﴿نَبَاتُهُ﴾ لخضرته، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ هذا النبات ويستوي ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ ذابلاً ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ يابساً متفتتاً، وهكذا الدنيا لأهلها.. ﴿و﴾ هي ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ للكافرين ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، ﴿و﴾ هي للمؤمنين ﴿مَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ على هذا النحو ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ لمن أنس لها، وأطمأن بها، وركن إليها.

لذلك يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

أي: ﴿سَابِقُوا﴾ بالأعمال الصالحة من فعل الطاعات، وترك المحرمات ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تمحو ذنوبكم، وتكفر سيئاتكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فما بالكم بطولها؟ هذه الجنة الواسعة ﴿أُعِدَّتْ﴾ خلقت وهيئت

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾، كل ﴿ذَٰلِكَ﴾: ﴿فَضَّلَ اللّٰهُ يُوْتِيْهِ مَن يَشَآءُ﴾
من عباده، وهم المؤمنون بالطبع، ﴿وَاللّٰهُ﴾ سبحانه ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ﴾.

يا أيها الناس:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢)

يخبر الله عز وجل في الآية الكريمة عن قدره السابق في الخلق من قبل أن يخلقهم سبحانه.

والمعنى: ﴿مَا أَصَابَ﴾ أي: ما وقع ﴿مِنْ﴾ آية ﴿مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ من آفات للزروع والثمار، أو زلزال أو غير ذلك، ﴿وَلَا﴾ من مصيبة ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من: مرض، أو موت، ﴿إِلَّا﴾ وهي موجودة مكتوبة ﴿فِي كِتَابٍ﴾ عندنا، وهو اللوح المحفوظ، وذلك ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ أي: نخلق الأرض والأنفس، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الأمر، وإن كان عسيراً على العباد، فإنه ﴿عَلَى اللّٰهِ﴾ عز وجل ﴿يَسِيرٌ﴾.

حيث إن الله يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن كيف يكون، سبحانه وتعالى.

ثم يبين الله عز وجل الحكمة في إخبار عباده بذلك، حيث يقول جل وعلا:

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتٰكُمْ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣) ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٤)

يعني: أعلمناكم أن كل شيء بقدر الله ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ تحزنوا حزناً يؤذيكم ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من متاع الدنيا، وزخرفها، وزينتها ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرحاً يطغيكم ﴿بِمَا ءَاتٰكُمْ﴾ الله، وأنعم عليكم من متاع الدنيا، وزخرفها، وزينتها، ولأن الذي يزداد فرحه قد يختال ويفتخر بما عنده، ويتكبر على خلق الله، فقد قال تعالى منها لسوء هذا الصنيع: ﴿وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ في نفسه ﴿فَخُورٍ﴾ على غيره.

ثم يصف هذا المختال بصفة تنبع من افتخاره هذا قائلاً: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ ويعرضون عن الإنفاق، بل أكثر من هذا، حيث ﴿يَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾ غيرهم ﴿يَالْبُخْلِ﴾ عن هذا الإنفاق، وبهذا وذاك يتولون ويعرضون عن طاعة الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن الإنفاق، وطاعة الله ﴿فَكَارِبُكَ اللَّهُ﴾ عز وجل ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن جميع المخلوقات ﴿الْحَمِيدُ﴾ في أفعاله سبحانه.

وبعد أن بيّن ربنا حكمته في الكشف عن قضائه في الخلق، وقدره، بيّن عز وجل حكمته في إرسال الرسل إلى خلقه سبحانه، فيقول جل جلاله:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥)

يعني: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ إلى الخلق ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وهي: المعجزات الدالة على صدق الرسل، والدلائل الواضحات على وحدانيتنا وقدرتنا، لدعوة الناس إلى الإيمان بالله ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو الوحي، الذي يوضح منهاج حياتهم، وصلاح أمرهم، ﴿و﴾ أنزلنا معهم كذلك ﴿الْمِيزَانَ﴾ الذي يكون ويتحقق به العدل في الأشياء والحقوق والواجبات، وذلك ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ويتعاملون فيما بينهم وبين ربهم، وفيما بينهم وبين بعضهم البعض ﴿بِالْقِسْطِ﴾ وهو العدل الذي بينه الله وشرع التعامل به، وأنزلنا - ثالثاً - ﴿الْحَدِيدَ﴾ أي: خلقناه لهم، حيث فيه: ﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قوة في السلم وفي الحرب، منه يصنع الكثير من الأدوات والآلات التي تستخدم عند الناس، وبها يتفوقون ويكونون أقوياء، وفيه كذلك ﴿مَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ يعرفونها في حياتهم الآنية، وفيما يجد لهم كذلك في حياتهم المستقبلية، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ به ثالثاً ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دعوته ﴿و﴾ ينصر ﴿رُسُلَهُ﴾ أيضاً بحسن استعماله لهذا الحديد، في مواجهة أعداء الدعوة، وذلك ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: وهو غائب عنهم، وهم غائبون عنه، لا ينصرهم، وهذه قمة اليقين، والصدق في الإيمان، ومع كل هذا ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يغالبه أحد، فأولياؤه: منصورون، منصورون بإذن الله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٢٦)

يعني إن من سنتنا إرسال الرسل إلى الخلق، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ قبل محمد ﴿نُوحًا
وَإِبْرَاهِيمَ﴾ بدعوتنا وديننا ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ أي: أولادهما ﴿النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ﴾ أي: الوحي.

فلبغوا أقوامهم، الذين هم أيضًا من ذرية نوح وإبراهيم ﷺ، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ من أطاع
وآمن فصار ﴿مُهْتَدٍ﴾ بهذه الدعوة، ومنهم من أبى وعصى، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ أي من
هذه الذرية ﴿فَسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله.

يقول الحق سبحانه:

﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ عَائِدِهِمْ رُسُلَنَا وَفَعَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ
إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٢٧)

أي: ومضى الزمان ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا﴾ يعني: أرسلنا ﴿عَلَىٰ عَائِدِهِمْ﴾ أي: من بعد نوح
وإبراهيم ﷺ من الذرية ﴿رُسُلَنَا﴾ رسولًا بعد رسول، يدعوهم كل رسول إلى
التوحيد والإيمان بالله ﴿وَفَعَيْنَا﴾ بعد ذلك ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أرسلناه بدعوتنا
﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وحيا إليه، شريعة لأتباعه، ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بحكمتنا ﴿فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم: الحواريون، ومن على شاكلتهم ﴿رَأْفَةً﴾ رقة وخشية في
قلوبهم ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق، وتودداً إليهم، وعطفاً عليهم، ﴿و﴾ جعلوا ﴿رَهَابَانِيَّةً
ابْتَدَعُوهَا﴾ لأنفسهم فروا بها في الجبال، وأخلصوا بها في العبادة، ويلاحظ جيدا أننا
﴿مَا كَتَبْنَاهَا﴾ ولا فرضناها ﴿عَلَيْهِمْ﴾، ولكنهم ابتدعوها لأنفسهم ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ
اللَّهِ﴾ وكان ذلك قد يقبل منهم لو أنهم نجحوا بها فيما أرادوا، ولكن ﴿فَمَا رَعَوْهَا
حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: ما قاموا بما فرضوه على أنفسهم كما ينبغي، بل انحرفوا بها،
وَضَمُّوا إليها التثليث، والكفر بما في الإنجيل من البشارة بمحمد ﷺ، إلى غير ذلك...
وعلى أية حال: ﴿فَ﴾ قد ﴿آتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم أهل الرأفة

والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام، الذين آمنوا بمحمد ﷺ، كما بشرت به التوراة والإنجيل، ﴿و﴾ لكن ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله.

هذا ولما قال اليهود: إن فضل الله وقف على موسى عليه السلام، وكفروا بعيسى وبمحمد ﷺ، ولما قال النصارى: إن فضل الله وقف على عيسى عليه السلام، وكفروا بمحمد ﷺ، أمر الله أتباع الحبيب محمد ﷺ وكل من يؤمن به وبرسالته بالتقوى والإيمان بالله ورسوله، وأن الفضل بيد الله وحده يعطيه من يشاء، حيث قال جل وعلا:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٨)

يعني: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ أي: عليكم بتقوى الله، والإيمان بالله ورسوله ﷺ، المقتضي للإيمان بجميع الرسل، ولو فعلتم ذلك وحافظتم عليه، ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ ربكم هذه المكارم:

أولاً: ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي: ضعفين ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ وذلك للإيمان بمحمد ﷺ، وبمن قبله من الرسل الكرام.

ثانياً: ﴿وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا﴾ هدى وسبيلاً واضحاً ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ في حياتكم وأموركم وعباداتكم.

ثالثاً: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم التي كانت منكم، وكل ذلك:

﴿لَّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ءَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩)

أي: كان هذا الفضل الإلهي لأتباع محمد ﷺ، ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى أنهم ﴿ءَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ حتى يعطون ويمنعون حسب أهوائهم، وليكون واضحاً ﴿أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ فقط ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ ولا راداً لمشيئته، ﴿وَاللَّهُ﴾ عز وجل ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المجادلة

سورة مدنية، وهي تبدأ بقوله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾

جاءت إحدى الصحابييات تشتكي زوجها إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآيات:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْمَرْأَةِ الَّتِي جَاءَتْ تُجَادِلُكَ تَحَاوُرَكَ فِي شَأْنِ زَوْجِهَا﴾ عندما قال لها: أنت عليّ كظهر أمي - وكان ذلك قبل الإسلام طلاقاً - ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ ما قال زوجها، إذ قالت في شكواها: أكل مالي، وأفنيت شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهر مني!! اللهم إني أشكو إليك!! واستمع إليها النبي ﷺ، وقال: «حُرِّمَتْ عَلَيْهِ»، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾، بينما هي في أزمتها وشدتها التي لجأت فيها إلى رسول الله ﷺ، واشتكت فيها أمرها إلى الله!!

حقاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكل مضطر ﴿بَصِيرٌ﴾ بحاله، يكشف عنه كربه.

وأرسل النبي ﷺ إلى زوجها، وقال له: «ما حملك على ما صنعت؟»

قال: الشيطان، فهل لي من رخصة؟

فتلا عليه النبي ﷺ هذه الآيات الأربع من صدر هذه السورة.

وبين الله لهذه الصحابية - السيدة خولة بنت ثعلبة - ولزوجها - أوس بن الصامت -

وللمسلمين معهما وضع هذه العادة الجاهلية، وهي الظهار في دين الله تعالى وشرعه، حيث قال جل شأنه:

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

نعم، إنها عادة جاهلية مرفوضة في شرع الله، حيث إن الزوجة التي تقول لها: أنت علي كظهر أمي.

أولاً: هي ليست في الحقيقة أمك، إنما أمك التي ولدتك.

ثانياً: هذا القول في شرع الله منكر من القول وزور، ولا ينبغي الوقوع فيه.

ولكن، لقد كنا نقوله قبل هذه الآيات، فما العمل؟

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ على ما سبق منكم بهذا الخصوص ﴿لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ كثير التجاوز، كثير السّتر لعباده.

ثم بيّن ربنا تبارك وتعالى لهذه الصحابة الجليلة، وزوجها ﷺ، وللمسلمين معهما حكم من يقع في هذا الموضوع، ويظاهر من زوجته بعد الآن، فقال الحق سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

أي: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ بعد ذلك ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي: لنقض ما قالوا، ولا يريدون إنهاء الحياة الزوجية!! ﴿فَذَلِكُمْ﴾ عليهم كفارة هذا الظهار وهي:

أولاً: تحرير رقبة، أي: عتق إنسان من ذل العبودية، وذلك لا بد أن يتم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ أي: الرجل والمرأة صاحبي هذا الظهار.

يقول تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ الحكم ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: تعاقبون به فتتعتظون،

فلا تعودون إلى هذا الخطأ ثانية، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ مطلع عليكم، يعلم سركم وجهركم. ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ رقة يعتقها، أو مالا يعتق به، انتقل إلى الأمر

الثاني.

ثانياً: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ متواصلين، وذلك: لا بد أن يتم كذلك
﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ أي: الرجل والمرأة، صاحبي الظهر،
﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ هذا الصيام انتقل إلى الأمر الثالث.

ثالثاً: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ بالتمام والكمال، وذلك: لا بد أن يتم أيضاً من
قبل أن يتماسا، ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم، والتخفيف فيه
﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وتعملوا بشرائعه التي فرضها عليكم، وترفضوا
ما كنتم عليه في جاهليتكم، ﴿وَذَلِكَ﴾ الأحكام هي ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ التي
لا يجوز تعديها، أو إهمالها، أو تأجيل العمل بها، ﴿وَاللَّكَفْرِينَ﴾ بها
﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ثم يبين المولى عز وجل جزاء الذين يتعدون أحكام الله وشرعه، أو يعتدون عليها، أو
يكفرون بها، حيث قال جل وعلا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ
بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

نعم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ يخالفون ويعادون ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾ في أي زمان أو
مكان ﴿كُنُوا﴾ أخزوا وهلكوا ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ممن حاد الله وعاند
رسله، خاصة: ﴿وَكَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالة على وحدانية الله، وقدرته، وحكمته،
ورحمته، وصدق رسله، وصلاح أمرهم وحياتهم، ﴿و﴾ قد أعدنا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بهذه
الآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

بعدها يبين تعالى متى يكون هذا العذاب المهين، مؤكداً له، حيث يقول جل جلاله:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

ذلك العذاب المهين لهم يكون ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ من قبورهم للحساب

﴿فَلْيَنْتَهُمُ﴾ وقتها ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ من سيئات وظلم، قد ﴿أَحْصَنَهُ اللَّهُ﴾ عليهم في كتاب، إذ يقول تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿و﴾ لكنهم ﴿نَسُوهُ﴾ لأنهم تهاونوا به حينما ارتكبه، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يغيب عنه شيء، بل هو عالم بكل شيء.

ثم أكد ربنا بيان علمه بكل شيء بقوله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧)

يعني ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بقلبك وعقلك ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، أنه ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى﴾ سرية بين ﴿ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه ﴿رَابِعُهُمْ وَلَا﴾ نجوى بين ﴿خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه ﴿سَادِسُهُمْ﴾ ﴿و﴾ كذلك ﴿لَا أَدْنَى﴾ أقل ﴿مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه ﴿مَعَهُمْ﴾ بعلمه، وذلك ﴿أَيْنَ مَا﴾ ومتى ﴿كَانُوا﴾ يتناجون، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾ سبحانه ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ وبما تناجوا به ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فيجازيهم عليه، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وعلى ذكر هذا التناجي، وخطورته تأتي آيات تبين حال أناس نهوا عن النجوى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٨)

يعني ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾ هؤلاء ﴿الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى﴾ بالباطل الذي لا خير فيه ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ﴾ يفعلونه ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ على الآخرين ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ فيما جاء به، ﴿و﴾ أنهم ﴿إِذَا جَاءُوكَ﴾ لأي أمر ﴿حَيَّوْكَ﴾

بِمَا لَمْ يُحِجَّكَ بِهِ اللَّهُ ﴿٩﴾ أَي: بدلاً من السلام يقولون: السام، وهو دعاء بالموت، ﴿و﴾ هم ﴿يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ كان نبياً لعذبنا الله بما نقول، ولكنه ليس بنبي، ولذلك ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ خستوا، وكذبوا، ﴿حَسَبَهُمْ﴾ عذاب ﴿جَهَنَّمَ﴾ عذاباً لهم ﴿يَصْلَوْنَهَا فَيُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ فبئس المرجع والمآل الذي سيصيرون إليه.

ثم يبين رب العزة للمسلمين أدب التناجي الحق، وأدب المجالس التي لا بد منها، حيث يقول الله سبحانه:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثِمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾

أي: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ﴾ في مجالسكم ﴿فَلَا تَنَجَّوْا بِالْآثِمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ كما يفعل الذين نهوا عن ذلك، من أهل الكتاب الكفرة والمنافقين، ﴿و﴾ لكن ﴿تَنَجَّوْا﴾ إذا كان ولا بد ﴿بِالْبِرِّ﴾ بالخير والطاعات ﴿وَالنَّقْوَىٰ﴾ البعد عن المعاصي والمحرمات، ﴿وَأَتَقُوا﴾ خافوا ﴿اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم على ما كان منكم.

أيها الذين آمنوا:

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ بالآثم والعدوان ومعصية الرسول، التي تكون من أهل الكتاب، أو المنافقين هي ﴿مِنَ﴾ تحريض ﴿الشَّيْطَانِ﴾ لهم، وذلك ﴿لِيَحْزُونَ﴾ بها الشيطان ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عندما يرون الأعداء، يتهايمسون عليهم، ويتآمرون بهم!!

﴿و﴾ لكن ﴿لَيْسَ﴾ الأعداء أو الشيطان ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿و﴾ لذلك ﴿عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ دون تأثر بهذه النجوى من أعدائهم.

ولأن النجوى عادة تكون في المجالس، فإليكم من آداب المجالس ما يلي:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ

وَإِذَا قِيلَ اأَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إذا جلستم مع بعضكم البعض، و ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾
توسّعوا ﴿فِي الْمَجَالِسِ﴾ ليجلس بعضكم ﴿فَافْسَحُوا﴾ فإذا فعلتم ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ﴾
لكم ﴿فِي الرِّزْقِ، وَالصَّدَقَاتِ، وَالْقَبْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ،﴾ وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ مِنَ الْإِمَامِ، أَوْ
الْمَسْئُولِ ﴿أَنْشُرُوا﴾ أي: قوموا لغيركم، أَوْ انصرفوا من مجلسكم، أَوْ انهضوا لأمر
مشروع ﴿فَأَنْشُرُوا﴾ فوراً؛ امتثالاً للأمر، وطاعة لولي الأمر، فإذا فعلتم ذلك ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَيَّ صَدَقُوا ﴿مِنْكُمْ﴾ وامتثلوا، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
مِنْكُمْ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ فِي الشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَفِي الْآخِرَةِ كَذَلِكَ، ﴿وَاللَّهُ﴾ سُبْحَانَهُ ﴿بِمَا
تَعْمَلُونَ﴾ امتثالاً للأمر، وطاعة للشرع ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

أيها الذين آمنوا: إذا كان الكفار من أهل الكتاب والمنافقين ﴿يَتَّبِعُونَ بِالْإِيمَانِ وَالْعُدُونِ﴾
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴿[المجادلة: ٨]﴾ وهو حرام، فإليكم أدب المناجاة مع الرسول ﷺ في
الآيات التالية، فاستمعوا إليها:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ
لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَحِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ﴾ أي: أردتم مناجاة الرسول ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ﴾
قَبْلَ ﴿نَجْوَاكُمْ﴾ مَعَهُ ﷺ ﴿صَدَقَةٌ﴾ تطهركم وتركيبكم وتؤهلكم لهذا المقام الشريف،
وهو مناجاة رسول الله ﷺ، ﴿ذَلِكَ﴾ التقديم للصدقة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فِي دِينِكُمْ
﴿وَأَطْهَرُ﴾ لَكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿فَإِنْ لَمْ تَحِدُوا﴾ مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ قَبْلَ هَذِهِ الْمَنَاجَاةِ
﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ يَقْبَلُ عَذْرَكُمْ فَتَنَاجَوْا مَعَهُ، حَيْثُ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده
﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

ولما نزل هذا التكليف شق على بعض الناس الاستمرار فيه وخافوا من التقصير!!

فخفف الله قائلًا:

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾
 ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أخفستم ﴿أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ تَحْوَنُكُمْ﴾ مع الرسول ﴿صَدَقْتُمْ﴾
 وتستمرون على ذلك، على كل حال: لقد خففنا عنكم، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك وتقدموا
 هذه الصدقات قبل المناجاة، بناءً على تخفيفنا عنكم ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وخفف عنكم
 بترك تقديم الصدقة على المناجاة!! ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ﴾ وداوموا على ذلك، حيث إن هذه مما لا ينبغي التساهل فيها، أو التفريط في
 أوانها بحال من الأحوال، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

بيّنت الآيات السابقة في هذه السورة: أن الذين يحاربون دين الله.. يخزيهم الله في
 الدنيا والآخرة، وقد بينت - كذلك - مظهرًا من مظاهر هذه الحرب، وهي التناجي بالائتم
 والعدوان ومعضية الرسول.

وها هي الآيات الكريمة تبين مظهرًا آخر من عداة هؤلاء للإسلام، وهو موالاتة أعداء
 الله؛ يقول الحق سبحانه:

﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوْلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
 الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى﴾ هؤلاء المنافقين ﴿الَّذِينَ تَوْلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم
 اليهود، وصاروا يفشون إليهم أسراركم، هؤلاء المنافقين ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ يا مسلمون
 كما يدعون، ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ أي: ولا من اليهود، وهم ﴿يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ الذي
 يقولونه للأعداء عنكم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون في أيماهم. هؤلاء:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً
 فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾

نعم، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾ عز وجل ﴿لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في القبر ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾ من موالاتهم وتوددهم ومعاهداتهم مع أعداء الله.

كما أنهم ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ الكاذبة التي كانوا يحلفونها للمسلمين على أنه ما بينهم
 وبين أعداء المسلمين ولاء، ولا محبة، ﴿جُنَّةً﴾ وقاية لدفع الأذى عن أنفسهم،

﴿فَصَدُّوا﴾ بذلك الناس من خلال الأمن لهم والثقة فيهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
 ودينه ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ في الدنيا والآخرة. هؤلاء:
 ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَنْ تُغْنِيَ﴾ لن تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ مهما كثرت ﴿وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ مهما
 قويت من عذاب ﴿اللَّهُ شَيْئًا﴾ يوم ينزل بهم هذا العذاب، على كل حال:
 ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: هم أهل النار لا يخرجون منها
 أبدًا.

ومن العجيب في أمرهم أنه:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ آلَا إِنَّهُمْ
 هُمْ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ ويحشرهم ﴿جَمِيعًا﴾ فلا يترك منهم أحداً، ويسألهم للحساب
 ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أنهم كانوا مخلصين غير منافقين، تماماً ﴿كَمَا﴾ كانوا ﴿يَحْلِفُونَ
 لَكُمْ﴾ في الدنيا على ذلك، ﴿و﴾ الأعجب إذ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ﴾ كانوا في الدنيا
 ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ من الصواب، بل كانوا ﴿... يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

﴿آلَا إِنَّهُمْ هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ في أيمانهم هذه في الدنيا وفي الآخرة. هؤلاء:
 ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ آلَا إِنَّ حِزْبَ
 الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَسْتَحْوَذَ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته وإغوائه ﴿فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾
 وخشيته، وطاعته، وشرعه، وجعلهم محاربين لدين الله، حقاً ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾
 جنده، وأعدائه، وأنصاره ﴿آلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.

وهكذا حكم الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ
أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ﴾ هؤلاء ﴿الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ يحاربون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وشرع الله ورسوله،
وأولياء الله ورسوله ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ الأشقياء المطرودين من رحمة الله،
المعذبين في الدنيا والآخرة.

حيث ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ عنده في اللوح المحفوظ ﴿لَأَعْلَبَ﴾ هؤلاء الأعداء
﴿أَنَا وَرُسُلِي﴾ في الدنيا والآخرة.

ولا غرابة في ذلك.. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: لا يُفْهَر ولا يُغْلَب.

يا سادة.. الإيمان الحقيقي: لا يكون معه مودة، ولا موالاة، مع أعداء الله، منافقين، أو
مشركين، أو لا دينيين أو كافرين من أهل الكتاب.

يقول الله عز وجل:

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا
إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

نعم، إنك ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إيمانًا صادقًا، حقيقيًا،

وفي الوقت ذاته: ﴿يُوَادُّونَ﴾ يوالون ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وحاد بهما
وحارب شرعهما، وعذب أولياءهما، حتى ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ هؤلاء الذين يحادون الله
ورسوله ﴿أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني: مهما كانت

قرابتهم لهم، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين لا يوادون مَنْ حاد الله ورسوله، ينعم الله تعالى عليهم بهذه النعم:

أولاً: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ ومكنه منها، واستجمعه فيها.

ثانياً: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾ أي: بنور ﴿مِنْهُ﴾ سبحانه.

ثالثاً: ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

رابعاً: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بسبب توحيدهم الخالص، وطاعتهم الصادقة.

خامساً: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من النعيم المقيم.

يقول ابن كثير رحمه الله: لَمَّا أَسْخَطُوا الْأَقْرَابَ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، عَوَّضَهُمُ اللَّهُ بِرِضَاهُ عَنْهُمْ، وَإِعْطَانِهِمْ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، حَتَّى رَضُوا عَنْهُ بِهَذَا الثَّوَابِ الْعَظِيمِ.

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ جنده، وأنصاره، وأهل دعوته، وحملة راية دينه، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

